جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

اهتمام الأطباء المسلمين بالجوانب النفسية وارتباط أعراضها بالأمراض العضوية

إعداد

د/غادة بنت عبدالله بن عبدالرحمن القبلان

أستاذ مشارك في تاريخ الطب عند المسلمين في قسم التاريخ والحضارة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

(العدد الثاني والأربعون)
(الإصدار الثاني ٠٠أكتوبر)
(الجزء الأول (١٤٤٥هـ /٢٠٢٣م)

الترقيم الدولي للمجلة(ISSN)2536-9083)
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٢٣/٦٢٧١م

اهتمام الأطباء المسلمين بالجوانب النفسية، وارتباط أعراضها بالأمراض العضوية.

غادة بنت عبدالله بن عبدالرحمن القبلان.

قسم التاريخ والحضارة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: ga_qoblan@hotmail.com

الملخص:

فطن أطباء المسلمين إلى أهمية الجانب النفسي في شفاء كثيرٍ من الأمراض العضوية التي تُصيب الإنسان؛ لإيمانهم التام بتلك العلاقة الوثيقة الرابطة بين سلامة النفس وسلامة الجسد، ولما يشكله تأثير الأحوال النفسية في البدن صحة واعتلالًا.

من هذا المنطلق فقد اهتم أطباء المسلمين بدراسة مزاج الإنسان ونفسه، ووقفوا على تلك العوامل النفسية الكامنة وراء كثير من الأمراض الجسدية، وكثرت وصاياهم على أن يكون الطبيب طبيبًا لروح المريض ونفسه قبل أن يبدأ بعلاج جسده. ونظرًا لأهمية الترابط النفسي لدى الإنسان بالصحة الجسدية، وللاهتمام البالغ لدى الأطباء المسلمين في هذا الفرع من الطب الإنساني بشكل فعَّال، وذلك من خلال دراساتهم النظرية وتطبيقاتهم العملية المتعدِّدة والمؤثرة، فقد نبعت لديَّ فكرة هذا الموضوع الذي سأتناول فيه هذا الجانب المهم من جوانب الطب لدى المسلمين بما يستحق التأمل والإشادة بقدر ما له من أثرٍ فيمن جاء بعدهم بما يعدُّ الأسس الأولى لتطور هذا الفرع من الطب فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: الطب، النفسي، الأمراض، العضوية، الحضارة الإسلامية.

Muslim doctors' interest in psychological aspect And the association of its symptoms with organic diseases

Ghada Bent Abdallah Ben Abderrahman Al-qablan.
Department of Syntax, Morphology and Philology - College of Arabic Language - Imam Muhammad bin Saud Islamic University.

E-mail: ga_qoblan@hotmail.com

Abstract:

Muslim doctors realized the importance of the psychological aspect in healing many organic diseases that affect human beings, due to their complete belief in that close relationship between the safety of the soul and the safety of the body, and because of the influence of psychological conditions in the body, health, and illness. From this standpoint, Muslim doctors were interested in studying the human mood and self, and examined these psychological factors behind many physical diseases, and always recommended that the doctor should be a doctor for the patient's soul before he begins to treat his body. Given the importance of a person's psychological connectionto physical health, and the great interest of Muslims doctors in this branch of humanitarian medicine effectively, through their theoretical studies, multiple and influential applications, I had the idea of this topic in which I will address this important aspect of medicine among Muslims that deserve contemplation and praise insofar as they had an impact on those who came after them and laid the first foundations for the later development of this branch of medicine.

Keywords:*medicine,psychology,diseases,organism, Islamic civilization*

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيّد البشر أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه وعنا معهم إلى يوم الدين.. أما بعد:

فقد اهتمَّ الطب عند المسلمين بصحة الإنسان في عمومها، ولم يُغفل أيَّ جزءٍ أو عضوٍ من أعضاء جسم الإنسان إلا وذكر ما قد يعتريه من عوارض صحية يمكن أن تؤثر في سلامته، وبيَّن العلاجات التي يمكن أن يبرأ بها هذا العضو أو ذاك، إلا أنَّ ما يلفت النظر هنا هو تركيز مجموعة من الأطباء واهتمامهم بالجانب الوقائي، وحرصهم على حفظ الصحة قبل الاهتمام بالمداواة والعلاج باعتبار أنَّ الوقاية هي الأساس لبناء صحة جيدة.

وكان مما تنادوا به أنَّ صحة الأبدان تتم المحافظة عليها بتقوية مناعة الجسم، ومن ذلك الجانب النفسي باعتبار أهميته الأساسية في ذلك؛ حيث أشاروا إلى أنَّ النفس تمرض كما يمرض البدن، بل إنها يمكن أن تكون سببًا لكثيرٍ من العلل التي يُصاب بها ذلك البدن، بما يستحق النظر فيها وعلاجها قبل الالتفات إلى علل الجسم، وهو ما يثبته الطب الحديث ويؤكد عليه.

وضمن الإبداع الطبي عند المسلمين، أبدع أطباء الحضارة الإسلامية في الاهتمام بالطب النفسي كما كان إبداعهم واهتمامهم بالطب العضوي الجسدي؛ إذ لم يقتصر النظر الطبي والعلاجي في حضارتنا على ذلك الجانب العضوي فحسب؛ وإنما تعداه إلى الاهتمام بحال الإنسان ومزاجه ونفسه، وذلك قبل ظهور الطب النفسي الحديث بقرون عديدة.

- **التعريف بالموضوع، وبيان أهميته**:

فطن أطباء المسلمين إلى أهمية الجانب النفسي في شفاء كثيرٍ من الأمراض العضوية التي تُصيب الإنسان، لإيمانهم التام بتلك العلاقة الوثيقة الرابطة بين سلامة النفس وسلامة الجسد، ولما يشكله تأثير الأحوال النفسية في البدن صحة واعتلالًا.

من هذا المنطلق فقد اهتم أطباء المسلمين بدراسة مزاج الإنسان ونفسه، ووقفوا على تلك العوامل النفسية الكامنة وراء كثير من الأمراض الجسدية، وكثرت وصاياهم على أن يكون الطبيب طبيبًا لروح المريض ونفسه قبل أن يبدأ بعلاج جسده، ومن ذلك تهوين أمر المرض على المريض، وأنه عارض مؤمَّل بالشفاء، وهذا ما دعا إليه الطبيب أبو بكر الرازي بقوله: «ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبدا الصحة ويرجيه بها، وإن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس»[(١)]، ضمن محاولاته في الاهتمام بالنواحي النفسية للمريض، ومحاولة إزالة مخاوفه من خلال رفع معنوياته النفسية حتى يكون أكثر استجابة للشفاء.

ونظرًا لأهمية الترابط النفسي لدى الإنسان بالصحة الجسدية، وللاهتمام البالغ لدى الأطباء المسلمين في هذا الفرع من الطب الإنساني بشكل فعَّال، وذلك من خلال دراساتهم النظرية وتطبيقاتهم العملية المتعدِّدة والمؤثرة، فقد نبعت لديَّ فكرة هذا الموضوع الذي سأتناول فيه هذا الجانب المهم من جوانب الطب لدى المسلمين بما يستحق التأمل والإشادة، وبقدر ما له من أثرٍ في من جاء بعدهم بما يعدُّ الأسس الأولى لتطور هذا الفرع من الطب فيما بعد.

---

(١) ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: الدكتور نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة (د. ت)، ص ٤٢٠.

ثمَّ إنَّ تناول مثل هذا الموضوع، والعمل على معرفة اهتمام العلماء المسلمين وجهودهم في مجال الطب النفسي لا يفيد فقط في معرفة ذلك الرصيد المهم الذي قام به العلماء المسلمون في هذا المجال، وإنما يفيد كذلك في إمدادنا بنماذج مهمة يمكن من خلالها تناول موضوعات وأطروحات علم النفس الحديث من وجهة نظر هؤلاء العلماء، ومن ثمَّ يمكن من خلالها توجيه الدراسات الحديثة نحو تلك الإبداعات، ومثال بسيط يمكن طرحه هنا يؤكد ذلك، وهو رؤية علماء النفس الغربيين لأهم مقومات الصحة النفسية للأفراد وربط ذلك في نجاح الفرد المادي وتوافقه مع نفسه ومع الناس، بينما يراها العلماء المسلمون مرتهنة بتوافق الفرد مع ربه والتمسك بعبادته وتقواه والتزام المنهج الرباني الذي رسمه الله تعالى للإنسان ليعيش حياة كريمة مطمئنة آمنة.

هذا ما أحاول تناوله في هذا البحث؛ محاولة لسبر أبعاد الموضوع ودقائقه، آملة أن تكون هذه الدراسة منطلقًا لمزيدٍ من الدراسات والأبحاث المتَّصلة بإسهامات علماء الحضارة الإسلامية في دراسة هذا الجانب المهم من جوانب النبوغ الطبي في مختلف جوانب احتياج الناس ومعاناتهم.

- **أهداف البحث**:

إنّ من أبرز الأهداف التي يمكن أن تكون ضمن المخرجات العلمية الأساسية لهذه الدراسة ما يأتي:

أولًا- تسليط الضوء على اهتمام الطب الإسلامي منذ أقدم العصور بالطب الوقائي قبل الاهتمام بأمر مداواة المريض بالعلاج.

ثانيًا- التوصل إلى تلك العلاقة التلازمية والتبادلية بين النفس والجسد ضمن صحة الإنسان، وجهود الأطباء المسلمين في تحقيق ذلك.

ثالثًا- التعرف على أهمية الجانب النفسي في شفاء كثيرٍ من الأمراض العضوية البدنية التي تصيب الإنسان.

رابعًا- تبيين ذلك التوافق بين فلسفة الأطباء اليونان حول النفس الإنسانية والفكر الإسلامي فيما يتصل بالنفس وطبائع الناس وأمزجتهم.

خامسًا- الوقوف على تلك الجهود الطبية التي توصل إليها الأطباء المسلمون من نظريات وتجارب وحقائق علمية متصلة بنفس الإنسان وطباعه، وما دونوه حول ذلك في مؤلفاتهم ورسائلهم.

سادسًا- الكشف عن أثر الطب النفسي في الحضارة الإسلامية في تطور الطب النفسي الحديث.

- **منهج البحث**:

ارتكز منهج البحث في مثل هذا الموضوع شأنه شأن كثيرٍ من الموضوعات الحضارية على جمع المادة العلمية من مظانها الأصلية الموجودة في عدد من المصادر الأولية المتخصصة، إلى جانب تلك المراجع والأبحاث الحديثة ذات الصلة بالموضوع.

تأتي بعد ذلك خطوة دراسة ما تمَّ جمعه من مادة علمية وتحديد صلتها بموضوع الدراسة، ومن ثم العمل على تأملها وتحليلها ونقدها بموضوعية علمية، وبمنهجية موضوعية، بعد ذلك تتم صياغة المادة العلمية بأسلوب علمي دقيق مراعيةً قواعد اللغة العربية والترابط بين المعلومات وتسلسل الأحداث، معتمدة في ذلك على أمانة النقل والعرض والمناقشة في كل ما أكتبه وفق منهج تاريخي وصفي تحليلي واستقرائي؛ سعيًا إلى الوصول إلى النتائج والأهداف المتوخاة من الدراسة.

- **الدراسات السابقة**:

لم تعثر الباحثة من خلال الاطلاع على قوائم البحوث المتخصصة على دراسة مشابهة لفكرة هذا البحث متوافقة مع أهدافه، إلا أنَّ اهتمام الباحثين في التراث النفسي عند المسلمين أفرز لنا دراسات وبحوث علمية سابقة تناولت جوانب منه، وتمت الإفادة مما حوته تلك الدراسات والأعمال السابقة في بعض جوانب الدراسة، وكان من أهم تلك الدراسات:

الأولى- كتاب التراث النفسي عند علماء المسلمين: من تأليف محمد شحاته الخطيب، وهو مؤلَّف متخصص بالتراث النفسي كتبه مؤلفه في تسعة أبواب، بدأها بمدخلٍ نظري وتاريخي عن الفلسفة، ثمَّ طرق نظريات النفس في الفلسفة اليونانية، وبعدها أفرد نشأة التفكير الفلسفي النفسي في الإسلام بباب مستقل، ثم أتمَّ الأبواب الستة بالحديث عن مجموعة من العلماء المسلمين المؤثرين في علم النفس بدراسات مفصلة، وقد أفادت منه الدراسة في بعض مباحثها فيما يتصل بطبيعة الموضوع.

الثانية- كتاب الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات: من تأليف محمود الحاج قاسم محمد، وهو كتاب عام في تاريخ الطب إلا أنه طرق موضوع الأمراض العقلية والنفسية بمبحث خاص، وقد أفادت منه الدراسة في بعض معلوماتها.

الثالثة- مقال قدمته باسمة نعيم سليم بعنوان: "إسهامات علماء المسلمين في الطب النفسي"، وتم نشره في موقع دنيا الوطن في تسع صفحات، وهو مقال على رغم اختصاره إلا أنه أفاد البحث في تقسيماته وبعض المعلومات المتخصصة والنقولات التي أوردتها.

الرابعة- مقال "علم النفس في التراث الإسلامي"، لكاتبه شريف هزاع شريف، وقد نشر في مجلة الجسرة الثقافية بالدوحة، وهو مقال موجز إلا أنه أفاد البحث في

الإشارة إلى مجموعة من المصادر والمراجع المتخصصة مع ما أورده من مقدمات مفيدة.

ونظرًا لطبيعة الموضوع وما حواه من مادة علمية؛ فقد جاء تقسيمه بعد المقدمة إلى مبحثين رئيسين: أولهما: دراسة تلك الجذور التاريخية لنظريات النفس وتطبيقاتها عند الأمم السابقة للإسلام، ولدى علماء المسلمين الذين أبدعوا في طرق جوانب مهمة في فلسفة النفس البشرية؛ ليكون مدخلًا ممهدًا للموضوع؛ لنصل إلى المبحث الثاني وهو فرضية تلك العلاقة التلازمية بين النفس والجسم في مبحث عنوانه: اهتمام الأطباء بالجوانب النفسية للمريض، وما يتصل بتلك العلاقة بين صحته النفسية وأمراضه الجسدية، ثمَّ جاءت الخاتمة، وقد تضمنت أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول

الجذور التاريخية للطب النفسي

يجدر بنا في مستهل هذا البحث أن نستدعي تلك الجذور التاريخية لنظريات النفس وتطبيقاتها وما يتبع ذلك من جهود العلماء وإسهاماتهم في فلسفة النفس البشرية؛ لنصل إلى فرضية تلك العلاقة التلازمية بين النفس والجسم.

ولا يخفى أنَّ الاعتلال النفسي أو اضطراب النفس، من عوارض الأمراض التي عُرفت لدى الإنسان منذ القدم؛ فكان يُعتقد قديمًا أنها تحدث جرَّاء قوى خارقة للطبيعة، والأرواح الشريرة، والسحر، وبالتالي استند علاجها على استخدام الرقى، والتمائم، والتعاويذ طبقًا للمعتقدات الروحية والاجتماعية آنذاك، فقد كان يُظن في تلك العصور أنَّ مرضى النفس توحي إليهم قوى خارجية لهم علاقة بها، أي: ما يعود للآلهة والشياطين وغير ذلك؛ الأمر الذي جعلهم يوكلون أمر التعامل معهم للكهنة والسحرة والعرَّافين الذي يتولون أمورهم؛ ولذا أصبح لهؤلاء مكانة بين الناس وثقة مطلقة لديهم تفوق مكانة من يتطبَّب آنذاك، وكانت لديهم طرقٌ للعلاج أبعد ما تكون عن العقل، إذ الأصل بأنَّ المرض في رأيهم يعود إلى تقمص الشيطان جسم المريض لذنب ارتكبه، وكان أكثر ما يعالج به لهذا السبب تلاوة العزائم وأعمال السحر والشعوذة، باعتبار أنها كفيلة بإرهاب الشيطان وإخراجه من الجسم، فيصح المريض بزعمهم.[١]

من هنا يتقرَّر بأنَّ الفكر النفسي قديم قدم الإنسان، إلا أنه وُجد بشكله المنتظم

---

(١) محمد إبراهيم الأتاسي. من تاريخ طب النفس والأعصاب عند العرب والمسلمين، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، ص ٧.

في الفكر اليوناني القديم؛ حيث كان موضوع النفس جزءًا من الفلسفة اليونانية، وكان زمن ازدهارها يمتدُّ من القرن الخامس حتى الثالث قبل الميلاد؛ حيث ظهر أثناء تلك المرحلة مجموعة كبيرة من الفلاسفة الذين تركوا آثارًا علمية في ذلك بتفاوت تلك الآثار، كان من بينهم: هرقليطس، فيثاغورث، انباذوقليس، انكساجوراس، ديموقريطس، أبوقراط، وهو أبو الطب القديم، ورغم أنه ليس فيلسوفًا إلا أنه كان يرى أنَّ الأمراض النفسية تحدث لأسباب تتعلق بالعوامل الجسمية والوراثية، مخالفًا بذلك من عاصره من المفكرين الذين كانوا يعزون العلل النفسية إلى السحر والجن، كما أنه يعدُّ أول من أشار إلى أنَّ المخ هو مركز النشاط العقلي، فاعتبر بذلك هو مؤسس النموذج الطبي في تفسير الاضطراب النفسي، يأتي بعده سقراط الذي أطال البحث في الإنسان وأخلاقه وسلوكه، وهو من جعل شعاره الفلسفي (اعرف نفسك بنفسك)، وأتى بعده تلميذه أفلاطون الذي اعتبر أنَّ النفس بالنسبة للجسم مثل: الربَّان للسفينة، وأتى بعده العالم الموسوعي أرسطو الذي يعدُّ أكبر الفلاسفة النفسانيين من اليونان، وهو من يرى أنَّ النفس ثلاث قوى: (النباتية، والحيوانية، والناطقة)، وربط السعادة في الفضيلة حتى وصلنا إلى الأنموذج الأكبر للفكر اليوناني الممتزج بالروح الشرقية، وهو الخليط بين الأفكار اليونانية خاصة عند أفلاطون ثم أرسطو مع الأفكار والديانات الوثنية الشرقية المتعلقة بالسحر والتنجيم، وتنسب هذه المدرسة إلى "أفلوطين" الذي اهتم بروحانية النفس بما عرف بالأفلاطونية الحديثة.(١)

وقد ظل علم النفس لزمنٍ طويلٍ مجالًا لاجتهاد الفلاسفة والحكماء ورجال الكنيسة، ثم أصبح بعد ذلك فرعًا من فروع علم الفلسفة، ولم يستقل عنه إلا بعد أن أصبح له موضوعه ومنهجه الخاص به، مع العلم بأنَّ الطب النفسي كما ينقل

---

(١) محمد شحاتة ربيع، التراث النفسي عند علماء المسلمين، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، (١٩٩٣م)، ص ٢٩- ٣٥.

الأتاسي عن جورج مورا متحدثًا عن الغرب، هو آخر التخصصات التي أدخلت على الطب، أما قبل ذلك فإنَّ الأمراض الذهانية كان يُنظر إليها أنها مسائل تهم الفلاسفة قبل غيرهم، فبينما كان يتعامل مع مرضى الذهان في العصور الوسطى والقديمة من قبل المشعوذين، أو أنهم يودعون السجون ويقابلون بالضرب والتعذيب، أو يحالون على جلسات تعنيف؛ لطرد الشياطين منهم باعتبار أنَّ ما يعانونه يرتبط بالنفس وأنها لا علاقة لها بالجسد.(١)

وقد أسهم الإسلام بنظامه المتكامل الشامل المنظِّم للحياة النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، في تقويم نظرة الناس إلى النفس البشرية، وأشار إلى شيء من أسرارها وخباياها؛ حيث احتوى القرآن الكريم على وصف موجَز لطبائع النفوس ووسائل علاجها، وكشف للإنسان عن بعض أسرار نفسه وأسرار الكون من حوله، ودعاه إلى دراسة هذه وتلك؛ ليعرف ويتعلَّم، ومِن ثَمَّ يتجه الاتجاه الصحيح.(٢)

وقد تحدث القرآن الكريم عن النفس باعتبارها ذلك الكائن المتسم بوجود ذاتي مستقلٌّ، كما خاطب القرآن الإنسان في ذات نفسه، باعتبار أنَّ النفس هي القوة العاقلة المدركة فيه، فيقول سبحانه وتعالى عنها: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا *فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٣)، ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ* ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي* وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾(٤)، ويقول

---

(١) محمد إبراهيم الأتاسي، من تاريخ طب النفس والأعصاب، ص ٧.

(٢) باسمة نعيم سليم، مقال: "إسهامات علماء المسلمين في الطب النفسي، ص ٩٢. موقع دنيا الوطن، تاريخ النشر (٢٠١٩/٠١/٢٨م) الصفحات (٩٩-٩١).
https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/483768.html

(٣) سورة الشمس، آية: ٧- ٨

(٤) سورة الفجر، آية: ٢٧- ٣٠

سبحانه: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [١]، وهو القائل سبحانه: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[٢]، ويقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾.[٣]

فالنَّفْس هنا وفي مواضع أخرى كثيرةٍ من القرآن، هي الإنسان العاقل المكلَّف، وهي الإنسان الذي يُتوقَّع منه الخير أو الشر، والهدى أو الضلال، ثم إنها هي الإنسان بجميع مشخصاته جسدًا ورُوحًا، مما يلزم صيانتها وتزكيتها وحفظها مما قد يعطل وظائفها.

كما أضافت السُّنَّة النَّبويَّة (القولية والفعلية) كثيرًا مما يتصل بتلك النفس العاقلة، وفصَّلت ما ذكره القرآن مُجمَلًا في هذا المجال، من ذلك أنَّ الأمر بحفظ النفس وليس بتحريم قتلها فحسب، وإنما حفظ كرامتها وتحقيق سعادتها، وأداة ذلك وفاعله هو الإنسان وما تأمره به نفسه.

ثمَّ إنَّ من صور الاعتناء بنفس الإنسان ووقايتها مما قد يتسبّب في اعتلال البدن، ما كان يراه الأطباء المسلمون من أنَّ الوهم والأحداث النفسية هي من العلل التي تؤثر في البدن؛ من هذا المنطلق فقد خصَّص الأطباء قسمًا في كل مستشفى من مستشفياتهم للأمراض العصبية والعقلية، فباتت معاملة المرضى العقليين أكثر إنسانية وعلمية، اعتمدوا في ذلك برامج علاجية عملية ضمن تلك البيمارستانات التي انتشرت في كثيرٍ من حواضر المسلمين.

وضمن الإشادة باهتمام أطباء المسلمين بالطب النفسي والعقلي أشار محمود الحاج قاسم إلى أنَّ هذا الفرع من الطب لقي في تاريخه المتعثر الطويل الكثير من

---

(١) سورة يوسف، آية: ٥٣

(٢) سورة يوسف، آية: ١٨

(٣) سورة الطلاق، آية: ١

الإنكار والجحود فاق غيره من فروع العلوم الطبية، إلا أن ما أسداه الأطباء والعلماء المسلمون لهذا العلم بلغ من العظمة ما يستحق الإشهار والاعتزاز، ففي الوقت الذي كان الجنون يعدّ في أوروبا من الأمراض الشيطانية، وفي الوقت الذي كان الأوربيون يقيِّدون المجانين بسلاسل، وكانوا يعالجونهم بالضرب عند ارتفاع أصواتهم بالصراخ، في هذا الوقت بالذات كان المسلمون يعدُّون الجنون مرضًا يجيء علاجه كبقية الأمراض؛ لذلك أنشأوا لهم المستشفيات اللازمة لرعايتهم وعلاجهم منذ القرن الأول الهجري، فعوملوا فيها بمنتهى الإنسانية، وكان الأطباء يعالجونهم بالعقاقير والطرق النفسية اللازمة.(١)

وأضاف أنَّ رعاية المريض العقلي في قسم خاص في المستشفى العام هو أحدث المفاهيم في علاج الاضطرابات العقلية؛ إذا كان المتبع في العالم الغربي إلى عهد قريب عزل مرضى العقل في مستشفيات خاصة بهم، ولم تلق فكرة علاجهم في المستشفيات العامة القبول إلا في زمن غير بعيد وبعد مقاومة ومعارضة شديدة، وهي في ذلك كانت الفكرة التي سادت المناخ الطبي في العالم الإسلامي بقصد علاج الأعراض العقلية منذ زمن بعيد، كما كثرت المؤلفات الطبية في هذا المجال، وهو دليلٌ آخر على الاهتمام بهذا النوع من المرضى ورعايتهم.(٢)

ومن هذا ما أورده الرازي في الحاوي بقوله: «لم أر شيئًا أشر في هذه العلة من الوحدة؛ ولذلك أرى أن الذين يُجلسون هؤلاء وحدهم يسيؤون، ولا ينبغي أن يُجلسوا أيضًا مع أمثالهم، بل يكون عندهم ناس عقلاء يكلمونهم بالصواب ويعرفونهم مواضع

---

(١) محمود الحاج قاسم محمد، الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، ط١، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٢١٧.

(٢) محمود الحاج قاسم، الطب عند العرب والمسلمين، ص ٢١٨.

الخطاء في كلامهم».[1] وهذه دلالة على تلك المعاملة الطبية التي كان يلقاها المصابون بشيء من الأمراض العقلية والنفسية من أطباء الحضارة الإسلامية.

وكان علم النفس من بين تلك العلوم التي كان لعلماء المسلمين أثرٌ واضح في إبداعها وتدوينها رغم إدراجه – عند كثيرٍ من العلماء – ضمن الدراسات الفلسفية والكلامية والحكمية والطبية الموسوعية؛ فكان لهم السبق في نقد وتحليل الفلسفة اليونانية بما ابتدعه كلٌّ من أرسطو وأفلاطون اللذين لم تنفصل لديهما النفس عن المنظومة الفلسفية؛ حيث وُجد هذا العلم فرعًا من فروعها، وكانت نظريات النفس جزءًا لا يتجزأ من الفلسفة من جانب الغوص في البحث عن ماهية النفس وقواها ومؤثراتها، ثمَّ أخذ يستقل عنها شيئًا فشيئًا بعد ظهور حركة علم النفس التجريبي في المانيا إبان القرن التاسع عشر الميلادي، وبدأت تدخل هذا العلم اهتمامات العلماء بدراسة سلوك الإنسان بغرض التوصل إلى القوانين التي تحكم هذا السلوك، وكذا دراسة ما يتصل بإحساس الإنسان وإدراكه والدوافع والانفعالات والتعلم والتذكر والذكاء وشخصية الإنسان، ومع هذا فإنها لا تخلو تلك الجهود السابقة من تناول عديد من الموضوعات المتصلة بموضوعات علم النفس الحديث، مثل: الإدراك الحسي والدوافع والانفعالات بما له صلة مباشرة بموضوع هذه الدراسة.[2]

لقد أسهم العلماء المسلمون السابقون إسهامات كثيرة ومهمة في الدراسات النفسانية، لكنها لم تحظَ من قبلُ باهتمام الباحثين ومؤرِّخي الدراسات النفسانية، فهم يغفلون عن ذكر إسهامات العلماء المسلمين في الدراسات النفسية، رغم أنه قد تُرجم عديدٌ منها إلى اللغة اللاتينية، وأثَّرَت تأثيرًا كبيرًا في آراء المفكِّرين الأوروبيين أثناء

---

(١) الحاوي في الطب، اعتنى به هيثم خليفة طعيمي. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م)، مج١، ج٣، ص ٥٠-٥١.

(٢) محمد شحاتة ربيع، التراث النفسي عند علماء المسلمين، ص ٢٦.

العصور الوسطى حتى بداية عصر النهضة الأوروبية الحديثة، وفي ذلك تنقل باسمة نعيم في مقال لها عن جورج مورا وهو يصف مرحلة ازدهار الطب النفسي قوله: «لقد كان موقف العرب أكثر إنسانية نحو المرضى العقليين، مِمَّا أحدث شيئًا من التأثير على نظرة دول أوروبا الغربية تجاه المرضى العقليين، وفي الواقع فإن في المعلومات الموثّقة حول موقف العرب تجاه المرضى العقليين قلة نسبية، لكن على الرغم من ذلك يُعرف كثير من القوى الدينية والأخلاقية والعلمية التي يُفترض أن هذه الاتجاهات قد نشأت عنها، إضافة إلى ذلك فلقد أُسِّسَ عديد من المستشفيات العقلية في بغداد في القرن الثامن الميلادي، وكذلك في دمشق في القرن التاسع الميلادي، وفي القاهرة في القرن الثالث عشر الميلادي، ولقد وصف الرحالة العائدون إلى أوروبا من بلاد العرب في القرن الثاني عشر الميلادي ذلك العلاج المستنير الذي يتلقاه المرضى النفسانيون في تلك المراكز العلاجية، ووصفوا جوَّ الاسترخاء في تلك المراكز العلاجية المحاطة بالنوافير الساحرة والحدائق الغَنَّاء، ووصف كذلك الطرق العلاجية التي تشمل وجبات خاصة وحمامات وأدوية وعطورًا... إلخ».

ثم يُضِيف: «كانت هناك عيادة خارجية ومدرسة طبية مُلحَقة بكل مستشفى، وقد كانت الإمكانات العلاجية مُتاحة للمرضى الأغنياء والفقراء على حد سواء، ويبدو أن معظمهم كان يعاني ذهان الهَوَس والاكتئاب».[١]

ولقد سبق العلماء المسلمون المعالجين النفسانيين المُحدَثين من أتباع مدرسة العلاج السلوكي، في تركيز الاهتمام في العلاج النفساني على تغيير أفكار الفرد ومعتقَداته السلبية أو الخاطئة، على اعتبار أن أفكار الفرد ومعتقداته هي التي تؤثِّر في سلوكه، وجهود كثيرٍ من هؤلاء ماثلة أمامنا فيما تركه كلٌّ من: الكندي، وأبي بكر

(١) باسمة نعيم اسليم، إسهامات علماء المسلمين في الطب النفسي، ص ٩٣-٩٤.

الرازي، ومسكويه، وابن حزم، والغزالي، وفخر الدين الرازي، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية، إلا أنه يصعب في مثل هذه الدراسة حصر كافة جهود هؤلاء الروَّاد، إلا أنني سألمح لمجموعة من هؤلاء الذين ذاع صيتهم، ونقلت مصنَّفاتهم إلى اللغات الأوروبية، واعتمد عليها الغرب في تطوير نظريات علم النفس، وكان من أبرزهم:

الأول- الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الصباح بن عمران، توفي نحو سنة ٢٥٥هـ (٨٦٩ م)، وسمه النديم بأنه فاضل دهره، وأوحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها، وأشار إلى أنه يسمى فيلسوف العرب، وذكر له جملة واسعة من الكتب في مختلف العلوم(١)، وكان قد ولد بالكوفة ونشاء بالبصرة، وتعلَّم في بغداد، وكان مترجمًا ومتبحرًا في علوم: الطب، والفلسفة، والمنطق، والكيمياء، وعلوم الرياضيات، وقد اشتهر الكندي برسائله الفلسفية التي من أهمها: رسالة الحيلة لدفع الأحزان؛ حيث اعتبر الحزن ألمًا نفسيًّا ناتجًا عن فقد محبوب أو فوات مطلوب.(٢)

وقد عرض الكندي نظريته في النفس في أماكن متفرقة من رسائله، ومن طرائف نظرياته قوله: «إنَّ شرب السم أهون من معاناة الحزن»، وهذا القول يؤكد على خطورة هذا المرض النفسي، ومدى أهمية مواجهته وعلاجه قبل استفحاله؛ لذا تناول الكندي الحزن في رسالة مستقلة عرفت بدفع الأحزان، وهي دراسة نفسانية تدل على قدراته الفائقة في تحليل الحزن ومسبباته وكيفية علاجه.(٣)

---

(١) النديم، محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، الفهرست، ط١، تحقيق: ناهد عباس عثمان. الدوحة: دار قطري بن الفجاءة، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص ٥٢٢.

(٢) ابن جُلجُل، سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ(١٩٨٥م)، ٧٣- ٧٤.

(٣) محمد شحاتة ربيع، التراث النفسي عند علماء المسلمين، ص ١٦٦.

وتمثل جهود الكندي البدايات الأولى لنظريات علم النفس؛ حيث بدأت على يديه النهضة الأولى لعلم النفس لدى العرب والمسلمين، وقد ناقش مجموعة من الموضوعات المتصلة بعلم النفس، وكان من أهمها دراسته لموضوع الحزن وكيفية تجنبه ومعالجته.

الثاني- الرازي، هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، الطبيب المشهور ورائد الطب عند المسلمين (ت ٣١٣هـ/٩٢٥م)، وقد صفه ابن جلجل في طبقاته بأنه أديب طبيب مارستاني، دبَّر مارستان الري ثم مارستان بغداد زمانًا، وأكبَّ على النظر في الطب والفلسفة؛ فبرع فيهما براعة المتقدمين، وألَّف في الطب كتبًا كثيرة بديعة.(١)

وقد أفرد له ابن أبي أصيبعة ترجمة وافية ضافية بدأها بقوله: «مولده ومنشؤه بالري، وسافر إلى بغداد وأقام بها مدة، وكان قدومه إلى بغداد وله من العمر نيّف وثلاثون سنة»، وأنهاها بذكر جهوده في مجال الطب وفي بناء البيمارستان العضدي، وختم بمجموعة من نوادره الطبية ومؤلفاته.(٢)

وقد عُرف الرازي عند الأوروبيين بأنه أول وأعظم علماء المدرسة الحديثة في الطب على الإطلاق، قالت عنه المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) في كتابها شمس العرب تسطع على الغرب، وفي الفصل الذي عنونته بـ (أحد أعظم أطباء الإنسانية إطلاقًا): «لقد امتاز الرازي بمعارف طبية واسعة شاملة لم يعرفها أحد قط منذ أيام جلينوس، وكان في سعي دائم وراء المعرفة عابًّا منها كل ما يمكنه

(١) ابن جُلجُل، طبقات الأطباء والحكماء، ص٧٧، وله ترجمة عند القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الوزير (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، إخبار العُلماء بأخبار الحكماء. القاهرة: مكتبة المتنبي، ص ١٧٨- ١٨٢.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص ٤١٤ - ٤٢٧.

عبُّه»[١]، وأضافت قولها: «في شخصية الرازي الطبيب، تتجسد كما في المرآة، كل ما امتاز به الطب العربي، وما حققه من فتوحات علمية باهرة».[٢]

وكان الرازي ممن برز في الرؤية الطبية لأصحاب الحالات النفسية، وقد استطاع علاج بعض الأمراض التي اعتبرها سابقوه مستحيلة الشفاء؛ مثل: المالنخوليا، والصرع، وقد قام بتأليف كتابه «الطب الروحاني» بغرض إصلاح أخلاق النفس، وله نظريات في النفس واسعة ومعتبرة، مبثوثة ضمن كتابه الحاوي وكتبه الأخرى.

ويُعدُّ كتاب «الطب الروحاني» لأبي بكر الرازي الذي يسمى بكتاب «طب النفوس» أهم المصادر التراثية لعلم النفس؛ حيث أفرده لدراسة النفس من منظور تخصصي.

ويتكون هذا الكتاب من عشرين فصلًا، ورغم صغر حجمه فقد دون فيه الكثير من المعلومات النفسية؛ فعرف فيه ماهية النفس والانفعال: الكآبة، الجنس، الإدمان، العادة وحتى عقدة النقص.[٣]

الثالث- البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (ت٣٢٢هـ/٩٣٤م)، وكان ممن توسَّع في التعريف به ياقوت الحموي في معجم الأدباء، فذكر أنه كان فاضلًا قائمًا بجميع العلوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة، إلا أنه بأهل

---

(١) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ط ٨، تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي،- ط٢- بيروت: دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)- ص ٢٤٦.

(٢) هونكه، شمس العرب، ص ٢٥٧.

(٣) شريف هزاع شريف، علم النفس في التراث الإسلامي، الدوحة: مجلة الجسرة الثقافية، عدد (١٥) يناير ٢٠٠٣م، ص ١٩٩.

الأدب أشبه، وذكر له مجموعة مصنفات فائقة القدر، منها في هذا الفن كتاب مصالح الأبدان والأنفس، الذي يعرف بالمقالتين.(١)

وقد فطن البلخي في هذا الكتاب إلى تشابك الصحة النفسية بالصحة الجسمية على أساس تشابك البدن بالنفس، كما ركز في علاج اضطراب الجانب الانفعالي في الشخصية على استعمال الفكر والمعرفة إلى جانب تعديل السلوك، وذلك بأن تناول في كتابه هذا الجانبين: البدني والنفسي؛ حيث ركَّز في المقالة الأولى من الكتاب على الجانب البدني وكيفية تدبيره، بينما تناول في المقالة الثانية كيفية تدبير الصحة النفسية بما يتصل بصحة البدن.

الرابع- الفارابي، أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان (ت ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م)، وكان يطلق عليه المعلم الثاني، وهو من مدينة فاراب في إقليم خراسان، وقد استوطن بغداد.(٢)

وقد سمي بالمعلم الثاني على اعتبار أنه يلي أرسطو المعلم الأول، وهو أول من نقل للمسلمين فلسفة أرسطو وشرحها بأسلوب جيد، وقد بلغت مؤلفاته مما يزيد عن سبعين كتابًا، وقد ترجمت إلى اللغة اللاتينية والعبرية.

وقد عرض الفارابي نظريته النفسية في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة، وكذا في أماكن متفرقة من مصنفاته الأخرى، وهو متأثر بآراء كل من أفلاطون وأرسطو، وقد جعل للنفس مجموعة قوى أساسية، وفصَّل في مسببات السعادة، وأنها تستحصل بممارسة الأعمال المحمودة.(٣)

---

(١) ياقوت الحموي، يَاقُوت بن عبدالله الرُومي الحَمَوي (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم الأدباء المسمى (إرشاد الأريب على معرفة الأديب) ط٢، القاهرة: دار المأمون، ج٣، ص ٦٤- ٨٦.

(٢) القفطي، إخبار العُلماء بأخبار الحكماء، ص ١٨٢- ١٨٣.

(٣) محمد شحاتة ربيع، التراث النفسي عند علماء المسلمين، ص ١٨٤-١٩٠.

ومن آرائه أنَّ النفس الإنسانية هي جوهر روحي قائم بذاته، وليست عرضًا من أعراض الجسم، فالإنسان مكوَّن من عنصرين: أحدهما: النفس، وهو الجوهر الروحاني، والآخر: البدن.

الخامس- ابن سينا، أبو علي، الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨هـ (١٠٣٧م)، الذي اشتهر باسم الشيخ الرئيس وعرف بذلك، فعرفه القفطي من خلال ترجمته بقوله: «الشيخ الرئيس، وإنما ذكرته هاهنا؛ لأن كنيته أشهر من أسمه»[١]، وثنى على ذلك ابن أبي أصيبعة بأن عنونه بالشيخ الرئيس ابن سينا[٢]، ويُعدُّ من أعظم الأطباء المسلمين الأوائل، وتُعدُّ موسوعته العلمية (القانون في الطب) فخرًا للحضارة الإسلامية، وحضارة بني الانسان على الاطلاق.[٣]

وقد لقي الطب النفسي عناية فائقة من الطبيب ابن سينا الذي صنَّف مجموعة من الرسائل والمؤلفات التي تناولت ماهية النفس ووظائفها، إلا أننا لا نجد تلك الآراء والنظريات في علم النفس في مؤلَّف واحد من مؤلفاته، بل إنها مبثوثة في مجموع مصنفاته باعتبار أنَّ علم النفس في زمنه لم يتخذ تصنيفًا معروفًا مستقلًّا، وكذا ما أورده ضمن كتاب القانون، وكتاب النجاة، وكان من أهم كتبه التي تشتمل على نظرياته النفسية: "كتاب الشفاء"، وكتاب "أحوال النفس: رسالة في النفس وبقائها ومعادها"، كان قد ألَّفها ليتيح لطلبة العلم الاطلاع على ما يخصّ النفس وآرائه فيه ضمن كتاب مستقل، وكان ابن سينا ممن استفاد كثيرًا من آثار اليونان في علم النفس، وأبرزها ما ألفه أرسطو.

---

(١) القفطي، أخبار العُلماء بأخبار الحكماء. ص٢٦٨.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص٤٣٧.

(٣) الفاضل العبيد عمر، الطب الاسلامي عبر القرون، ط١. الرياض: دار الشّواف للطباعة والنشر. ١٤١٠هـ(١٩٨٩م)، ص٣٨٠.

السادس- الغزالي، الإمام أبو حامد حُجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطُوسِي، الفقيه الشافعي (ت ٥٠٥هـ/١١١٢م)، كانت ولادته بطُوس سنة ٤٥٠هـ (١٠٥٨م)، كان قد تولى تدريس المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٨٤هـ (١٠٩١م)، وعلت مكانته بها، ثم تركها متوجهًا إلى الحج سنة ٤٨٨هـ (١٠٩٥م)، فلما رجع أقام بدمشق مدة يذكر الدروس في جامعها، وانتقل منها إلى بيت المقدس، ثم قصد مصر، وأقام بالإسكندرية مدة، ثم عاد إلى وطنه طُوس واشتغل بالتصنيف حتى وفاته سنة ٥٠٥هـ (١١١٢م).(١)

ولقد قدم أبو حامد الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" بشكل خاصّ، مباحث قيِّمة في دراسة السلوك والدوافع والانفعالات والعواطف ودورها في التربية، كما اهتمَّ بإعلاء الدوافع ومجاهدة النفس عن طريق تكوين العادات الصالحة.

وعلم النفس لدى الغزالي متأثر إلى حدٍّ كبير بعلم النفس السينوي، كما فرَّق الغزالي بين مصطلحات: النفس، والجسم، والقلب، والروح، والعق، وناقش كذلك الدوافع والانفعالات، إلى جانب اهتمامه بالتوجيهات التربوية والنفسية، وكذلك معالجته لموضوعات الفضيلة والسعادة، وهو في هذه الموضوعات يصدر عن رؤية إسلامية، ورغبة صادقة في توجيه علم النفس توجيهًا إسلاميًّا، مستعينًا بقدرته الفائقة على المزج بين الدين وعلم النفس.(٢)

---

(١) ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (١٩٧٢م)، جـ٤، ص ٢١٦- ٢١٩؛ السبكي تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبدالفتاح الحلو، ومحمد الطناحي، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (١٣٨٥هـ/١٩٦٦م)، جـ٦، ص١٩١ - ٢١٩.

(٢) محمد شحاتة ربيع، التراث النفسي عند علماء المسلمين، ص ٤٥.

وبعد، فإنَّ هؤلاء هم أبرز العلماء الذين تركوا آثارًا واسعة في دراسات نفس الإنسان وصلتها بصحته، وكذا في توجيه النظريات والدراسات النفسية الحديثة، إضافة إلى ما صنَّفه عددٌ من علماء المسلمين من رسائل وكتب في الصحة النفسية، والمالنخوليا، ورسائل متعددة عن الحالات النفسية المختلفة؛ كالغضب والسرور والحزن، وأثرها في الصحة، وكذا إشاراتهم إلى أساليب مواجهتها وعلاجاتها.

المبحث الثالث

اهتمام الأطباء المسلمين بالجوانب النفسية ومواجهة أعراضها

يُعدَّ الطب النفسي من مجالات الطب التي لفتت أنظار الأطباء المسلمين، وذلك حينما تأكدت لهم أهمية الحالة النفسية للإنسان وأثرها على وظائف أجهزة جسمه المختلفة؛ فمثلًا ثبوت تأثير حالات الانقباض، والهم، والغم، والخجل تأثيرًا مباشرًا في سلوك الإنسان ووظائف جسمه، وربما تؤدي به إلى اختلال العقل وربما إلى الجنون، إضافة إلى اهتمام الأطباء بحالات الوهم والأحداث النفسية، واعتبارها من العلل التي تؤثر في البدن بصفة مباشرة، ليس هذا فحسب، وإنما طرح الأطباء مجموعة من الوصايا والحلول التي يمكن أن يواجه بها أي من أعراض هذه الأمراض النفسية قبل استفحالها، وامتداد آثارها على صحة الجسد.

وهنا أشير إلى أنه حينما يكون لدى المصاب بمرض بدني مضاعفات نفسية معينة، إنما هو أمر طبيعي متكرر حدوثه، وهو عارض طارئ يمكن أن يزول بزوال المرض أو بتحسن حال المريض، إلا أنَّ فرضية هذا البحث تقوم على جانبين مهمين: أولهما: اهتمام الأطباء بنفس المصاب بدنيًا قبل الالتفات إلى علاج المرض الذي يعاني منه، الأمر الآخر: أن يعرض للمريض عارض نفسي يؤثر في صحته الجسمية، ويتحول ذلك العارض – إثر ذلك – إلى مرض جسدي، وحال هذا أيضًا تتكرّر لدى من يصاب بمرض نفسي، وتتراكم لديه هذه الإصابة؛ لتتحول في نهاية الأمر إلى مرض عضوي.

وكان للأطباء المسلمين آراء ونظريات واسعة حول علاقة النفس بالجسم، وهذه الرؤى جاءت نتيجة الفهم المنفتح للمنطلقات النظرية التي درست ماهية النفس، فالرأي الأفلاطوني يرى أنَّ النفس جوهر قائم بنفسه مستغنٍ عن الجسم، وأن الجسم محتاج للنفس تمام الاحتياج، في حين أنها صورة للجسم حادثة بحدوثه عند أرسطو، فجاء الرأي الطبي التوفيقي؛ ليقرر العلاقة بين الظواهر النفسية والجسمية بما بينهما من تفاعل وترابط، وأعني بذلك: نظريات الترابط النفسي والبدني لدى أطباء المسلمين.(١)

وقد تصدى مجموعة من الأطباء المسلمين لهذا التوافق بين النفس والجسد، ووضع كثيرٌ منهم نظرياتهم وآراءهم في مئات الكتب والرسائل التي صنفوها، بما يؤكد ريادة الطب الإسلامي في هذا المجال، كما بوَّب مجموعة من العلماء المسلمين النفسَ ضمن مصنفاتهم الفلسفية الشاملة بعد أن مُلئت شروحًا وانتقادًا على ما هي عليه في اليونانية، ثم أفرد بعضهم لها فصولًا في المؤلفات الطبية كأبي بكر الرازي، وابن سينا، وغيرهما.

وعليه أصبح للنفس طابعٌ آخر في المؤلفات الطبية التي لا تهمل الارتكازات النظرية التي دونها الفلاسفة من قبلهم، فأبو بكر الرازي الطبيب الفيلسوف كان يؤمن بمعالجة النفوس كما تعالج الأجسام، لما لها من تأثير في صحة ومرض الأجسام، ويرى أن يكون طبيب الجسم في الوقت نفسه عالمًا بطب النفوس، وهذا ما سار عليه الأطباء من بعد؛ إذ دُرِّس علم النفس كعلم جزئي من الطب كما هو في الفلسفة، إلا أنه اكتسب صفة إكلينيكية (سريرية) في الطب، وبيَّن فيه الأطباء المسلمون مفاسد

(١) شريف هزاع، علم النفس في التراث الإسلامي، ص ١٩٧.

النفوس وإصلاحها وعلاجها، موضحين تلك العوامل المؤثرة في تدهور الصحة النفسية.(١)

وقد ترجم الأطباء المسلمون هذه الثنائية بين النفس والجسد فيما ألفوه من كتب تهتم بجانب النفس واضطرابات العقل لدى الإنسان، إضافة إلى تميّزهم في مواجهة تلك الاعتلالات عمليًّا بتخصيص أقسام لأصحاب هذه الحالات ضمن أقسام البيمارستانات التي انتشرت في معظم حواضر المسلمين، مثل: دمشق، وبغداد، والقاهرة، وقرطبة؛ حيث يتلقى فيه المريض معاملة كريمة تليق به كإنسان، وعناية طبية خاصة على يد أمهر وأفضل الأطباء في العلاج النفسي.

وضمن وصايا الأطباء في ذلك ضرورة التعرف على حالة المريض النفسية وتشخيصها بدقة؛ للتمكن من معالجته بما يلائم حالته الصحية من وسائل، فكانت أولى خطوات العلاج التي داوم الأطباء على التوكيد عليها، هي ضرورة تطمين المريض، ورفع معنوياته، والإيحاء إليه بإمكانية علاجه، ووصوله للشفاء التام بإذن الله.

من ذلك ما ابتكره المسلمون من أوقاف أسموها "وقف خداع المريض"، كان يصرف منها على شخصين من خارج البيمارستان (المستشفى) يمران من جانب المريض المطلوب علاجه في البيمارستان، ثم يتحدثان بجانبه مع بعضهما بصوت خافت يسمعه المرض، ويذكر أحدهما في سياق الحديث بأنه كان مريضًا بذلك

(١) شريف هزاع، علم النفس في التراث الإسلامي، ص ١٩٦.

المرض وشفي منه، فيسمع ذلك المريض المطلوب علاجه، فتتحسن حالته النفسية ويتماثل للشفاء[١]، بما له من أثر فاعل في نفسية المريض وسرعة شفائه.

وكان الطبيب أبو بكر الرازي ممن بادر إلى الربط بين العامل النفسي وبعض الأمراض الجسدية؛ لقناعته التامة بالعلاقة الوثيقة بين سلامة النفس وسلامة الجسد، وتأثير الأحوال النفسية في البدن، وقد استطاع علاج بعض الأمراض التي اعتبرها سابقوه مستحيلة الشفاء؛ مثل: المالنخوليا، والصرع، وقام بتأليف العديد من الكتب في مجال علم النفس والطب النفسي، من ذلك كتابه «الطب الروحاني» الذي بين فيه إصلاح أخلاق النفس، واهتم بالعوامل النفسية الكامنة وراء كثير من الأمراض الجسمية، وأوجب على طبيب الجسم أن يكون طبيبًا للروح، وأن يشجع المريض ويؤمله بالشفاء، وكان أول طبيب يتوصل إلى الأصول النفسية لالتهاب المفاصل الروماتيزمي، وقد فرّق بينه وبين مرض النقرس، وقرَّر أنه مرض جسدي في ظاهره إلا أنه ناشئ عن اضطرابات نفسية، وأكد أنَّ أكثر من تظهر عليهم هذه الأعراض من أولئك الذين يكظمون الغيظ؛ وبتراكمه يتعرضون لهزات نفسية كبيرة، ليس هذا فحسب، بل إنَّ الرازي رأى أنَّ بعض أنواع سوء الهضم تنشأ عن أسباب نفسية بخلاف رداءة الكبد والطحال، وهو صاحب مقولة: "ينبغي للطبيب أن يوهم المريض بالصحة ويُرجّيه بها، وإن كان غير واثق بذلك؛ فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس".[٢]

ومن صور الأمراض النفسية التي تمكن الأطباء من علاجها مرض (الفصام) أو الفصام التصلب؛ حيث تمكن الطبيب جبرائيل بن يختيشوع (ت ٢١٣هـ/ ٨٢٨م)، وهو طبيب الخليفتين الأمين والرشيد، من علاج فتاة تعاني من هذا النوع من أنواع

---

(١) مصطفى السباعي، من روائع حضارتنا، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص ١٤٦.

(٢) باسمة نعيم اسليم، إسهامات علماء المسلمين في الطب النفسي، ص ٩٧.

الفصام باستخدام ما يُعرف حاليًّا بالعلاج السلوكي المعتمد على الإيهام الذي يهتم بعلاج العرض الملاحظ؛ إذ يروي ابن أبي أصيبعة قصة امرأة كانت لدى الخليفة العباسي الرشيد، وقد أصيبت بهذا المرض، وكانت قد رفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها، والأطباء يعالجونها بالتمريخ والإدهان ولا ينفع ذلك شيئًا، فأشار إليه جعفر بن يحيى بأن يعرض حاله على الطبيب ابن بختيشوع، فلما مثل أمام الرشيد قال له: ما اسمك، قَال: جبرائيل، قال له أي شيء تعرف من الطب، فقال: أبرد الحار، وأسخن البارد، وأرطب اليابس، وأيبس الرطب، الخارِج عن الطبع، فضحك الخليفة، وقال: هذا غاية ما يحتاج إليه في صناعة الطب، ثمّ شرح له حال الصبية، فطلب منه ابن بختيشوع الأمان لكونه سيعالجها بحيلة، وطلب أن تخرج الجارية إلى ههنا بحضرة الجميع حَتَّى أعمل ما أريده، وتمهل عليَّ، ولا تعجل بالسخط، فأمر الرشيد بإحضار الجارية فخرجت وحين رآها جبرائيل عدا إليها، ونكس رأسه، ومسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها، فانزعجت الجارية، ومن شدة الحياء والانزعاج استرسلت أعضاؤها، وبسطت يديها إلى أسفل، ومسكت ذيلها، فقال جبرائيل: قد برئت الجارية، فطلب منها الخليفة أن تبسط يدها يمنة ويسرة ففعلت ذلك، وعجب الرشيد وكل من كان بحضرته، وأمر في الوقت لجبرائيل بخمس مئة ألف درهم، وأحبه مثل نفسه، وَجعله رئيسًا على جميع الأطباء.(١)

ومن شواهد ذلك ما أورده ابن أبي أصيبعة في ترجمته للطبيب أبي عبد الله محمد بن سعيد التميمي (كان موجودًا في مصر سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، وهو يورد قصة عن أحدهم، وقد سقط في بعض الخانات من موضع عالٍ، فحمله صاحب الخان، وخدمه حتى أدخله إلى الحجرة التي كان ساكنها، فلما أصبح قام وهو يجد وجعًا ووهنًا في مواضع من جسده، ولا يعرف لذلك سببًا، فركب وتصرف في بعض

(١) عيون الأنباء، ص ١٨٨.

أموره إلى أن تعالى النهار ثم رجع، فقال له صاحب الخان: ينبغي أن تحمد اللّه على سلامتك قال: مم ذا؟ قال أو ما علمت ما نالك البارحة؟ قال: لا، قال: فإنك قد سقطت من أعلى الخان إلى أسفل، قال: ومن أي موضع؟ فأراه الموضع، فلما رآه حدث به للوقت من الوجع والضربان ما لم يجد معه سبيلًا إلى الصبر، وأقبل يضج ويتأوه إلى أن جاؤوه بطبيب، ففصده، وشد على مفاصله المتوهنة جبارًا، فأقام أيامًا كثيرة إلى أن برأ، وذهب عنه الوجع.(١)

ثمَّ يورد ابن أبي أصيبعة حادثة أخرى في ذات الترجمة موضحًا كيف أنَّ من الأمراض النفسية ما تتحوَّل أحيانًا إلى أمراضٍ عضوية، فيسرد قصة لأحد التجار كان في بعض أسفاره في مغارة، ومعه رفقة له، فنام في منزلة نزلها في الطريق ورفقته جلوس، فخرجت حيَّة من بعض النواحي، فنهشته في رجله، وذهبت وانتبه مرعوبًا من الألم، وبقي يمسك رجله، ويتأوه منها، فقال له بعضهم: ما عليك إنك مددت رجلك بسرعة، وقد صادفت رجلك شوكة في هذا الموضع الذي يوجعك، وأظهر له أنه أخرج الشوكة، وقال: ما بقي عليك بأس، وتساكن عنه الألم بعد ذلك، ورحلوا، فلما كان بعد عودهم بمدة، وقد نزلوا في تلك المنزلة قال له صاحبه: أتدري ذلك الوجع الذي عرض لك في هذا الموضع من أي شيء كان؟ فقال: لا، قال: إنَّ حيَّة ضربتك في رجلك، ورأيناها وما أعلمناك، فعرض له للوقت ضربان قوي في رجله، وسرى في بدنه إلى أن قرب من قلبه، وعرض له غشي، ثم تزايد به إلى أن مات.(٢)

ويعلّق ابن أبي أصيبعة على ذلك بقوله: «وكان السبب في ذلك أنَّ الأوهام والأحداث النفسانية تؤثر في البدن أثرًا قويًّا، فلما تحقق أنَّ الآفة التي عرضت له

(١) وقد وردت القصة بكامل تفصيلاتها لدى ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء، ص ٥٤٧.
(٢) عيون الأنباء، ص ٥٤٧ – ٥٤٨.

كانت من نهشة الحية تأثر من ذلك، وسرى ما كان في ذلك الموضع من بقايا السم في بدنه، ولما وصل إلى قلبه أهلكه».[١]

وهاتان الحادثتان تؤكدان ضربًا من ضروب الأمراض النفسية التي تؤثر على صاحبها، مما يؤكد أهمية هذا المرض ومعرفته لدى أطباء الحضارة الإسلامية.

أما ابن سينا فقد اهتمَّ بتحليل وظائف النفس وقواها المختلفة تحليلًا عميقًا، وقسَّم النفس إلى ثلاثة نفوس: (نفس نباتية، ونفس حيوانية، ونفس إنسانية ناطقة) ثم أوضح معنى كل نوع من هذه الأقسام وطبائعه، كما تشمل آراء ابن سينا النفسية مجموعة نواحٍ متعلقة بالنفس، كالإحساس، والإدراك، والتصور، والتخيّل، والانفعال، والذاكرة، والإرادة، والتفكير، والمزاج، والشعور بالذات، والشخصية.[٢]

وقد سبق ابن سينا أطباء عصره في بيان الأساس العلمي للطب العقلي؛ حيث أدرك صلة العلاقة بين الجسم والعقل، وبيَّن تأثير الوهم على العقل أو تأثير الإيحاء في الجسم بالمرض أو الشفاء، وقد صرَّح في هذا ضمن كتابه (الشفاء) بقوله: «وتأمل حال المريض الذى توهم أنه قد صح والصحيح الذى توهم أنه مريض، فإنه كثيرًا ما يعرض من ذلك أن يكون إذا تأكدت الصورة في نفسه وفى وهمه انفعل منها عنصره، فكانت الصحة أو المرض، ويكون ذلك أبلغ مما يفعله الطبيب بآلات ووسائط، ولهذا السبب ما يمكن الإنسان مثلًا أن يعدو على جذع يلقى في القارعة

---

(١) عيون الأنباء، ص ٥٤٨.

(٢) حسن ملا عثمان، الأفكار النفسية والتربوية عند ابن سينا، ص (٢٢٥- ٢٣٦) في أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في جامعة حلب بإشراف معهد التراث العلمي العربي وكلية الآداب، ٢٠-٢١ رجب ١٤٠٢هـ/ ١٣-١٤ إيار مايو ١٩٨١م. حلب: المعهد (١٩٨٣م)، ص ٢٢٩.

من الطريق، وإن كان موضوعًا كالجسر وتحته هاوية لم يجسر أن يمشى عليه دبيبًا إلا بالهوينا، لأنه تتخيل في نفسه صورة السقوط تخيلًا قويًّا جدًّا، فتجيب إلى ذلك طبيعته وقوة أعضائه، ولا تجيب إلى ضده من الثبات والاستمرار».[١]

كما استطاع الرئيس ابن سينا التعرف على ما يُسمى اليوم بالأمراض الوظيفية، وهي أمراض تحدث نتيجة لأسباب نفسية، وتشمل كلًا من الأمراض العقلية والنفسية؛ كالاكتئاب، والأرق، والفصام، والهوس، وجنون العظمة، والاضطهاد، والشلل، والسكتة الدماغية، بالإضافة لذلك فقد عزا بعض حالات العقم إلى عدم التوافق النفسي بين الزوجين، وقد خصص ابن سينا ثلاثة فصول من كتابه «القانون في الطب» للحديث عن طب النفس والأعصاب، كما يحتوي على وصف مفصل لمرض الفصام.

كما أنه عرف مبادئ التحليل النفسي، ووقف من خلاله على عدد من الحقائق المرضية، وسجَّل بذلك سبقًا علميًا في استخدامه طرق التداعي النفسي، وذلك فيما أبانه في كتابه القانون، وفي فصل خاص عن العشق بأنه: «مرض وسواسي شبيه بالمالنخوليا يكون الإنسان قد جلبه إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل التي له، ثم أعانته على ذلك شهوته أو لم تعن»[٢]، ثمَّ يصف حالة العاشق النفسية، وما يعرض له من تغيّر النبض وغيره، فيقول: «ويكون نبضه نبضًا مختلفًا بلا نظام البتة، كنبض أصحاب الهموم، ويتغير نبضه وحاله عند ذكر المعشوق خاصة، وعند لقائه بغتة، ويمكن من ذلك أن يُستدل على المعشوق أنه من

---

(١) ابن سينا، أبي علي الحسين بن علي (ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م)، كتاب الشفاء، القسم الأول، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (١٩٨٨م)، ص ١٩٤-١٩٥.

(٢) ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي (ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م)، القانون في الطب، وضع حواشيه: محمد أمين الضنّاوي، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ(١٩٩٩م). ج٢، ص ١١٢.

هو إذا لم يتعرف به، فإن معرفة معشوقه أحد سبل علاجه، والحيلة في ذلك أن يذكر أسماء كثيرة تعاد مرارًا، وتكون اليد على نبضه، فإذا اختلف بذلك اختلافًا عظيمًا، وصار شبه المنقطع، ثم عاود وجربت ذلك مرارًا، علمت أنه اسم المعشوق، ثم يذكر كذلك السكك والمساكن والحرف والصناعات والنسب والبلدان، وتضيف كلًا منها إلى اسم المعشوق، ويحفظ النبض حتى إذا كان يتغير عند ذكر شيء واحد مرارًا، جمعت من ذلك خواص معشوقه من الاسم والحلية والحرفة وعرفته، فإنا قد جربنا هذا واستخرجنا به ما كان في الوقوف عليه منفعة».(١)

وتطبيق ذلك في حادثة رواها النظامي السمرقندي في كتابه "جهار مقالة" عن ابن سينا، وهو يقوم بفحص عاشق في جرجان لفتًى استعصى علاجه على جميع الأطباء، وتوصل عن طريق التحليل النفسي والاستقصاء والملاحظة إلى أنَّ الفتى لم يكن به أي مرض عضوي، وإنما كان مشغوفًا بإحدى فتيات حي معين في بلده، وبملاحظة اضطراب نبض الفتى توصل ابن سينا لمعرفة اسم الحي واسم الفتاة، وما لبث الشاب أن شُفي من علته.(٢)

ومن الواضح أنَّ ابن سينا استعمل في هذه الرواية طريقة التحليل النفسي للوصول إلى سبب الانفعال الوجداني، وما اتصل به من عاطفة كامنة، واستعمل هذه الطريقة كوسيلة علاجية، وطريقته هذه قريبة تمام القرب من الطرق الحديثة في العلاج النفسي، كما أنَّ ابن سينا سعى بطريقته هذه إلى إثارة انفعالات جسم

---

(١) القانون في الطب، ج٢، ص١١٢.

(٢) وقد وردت هذه القصة بتفصيلاتها لدى السمرقندي، النظامي العروضي توفي في حدود سنة ٥٥٠هـ (١١٥٥م)، جهار مقالة: المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب، ط١، نقله إلى العربية: عبدالوهاب عزَّام ويحيى الخشَّاب. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م)، ص ٨٣.

المريض، واستدل منها على وجود ارتباط سببي بين التغيرات الطارئة له (تسارع النبض)، وبين ورود العامل المسبب لها، وبهذا يكون ابن سينا قد أدرك عدة مبادئ وقواعد أساسية في علم النفس بما يتصل في النواحي الديناميكية التشخيصية والتحليلية والعلاجية.(١)

ونظير ذلك ما تردد من قصة علاجه أحد أمراء بني بويه الذي كان قد أصيب بمرض عصبي امتنع معه عن تناول الطعام، وتوهَّم أنه صار بقرة وينبغي ذبحه، فلما عُرِض عليه أخذ شفرة حادة، وتقدم نحو المريض وأضجعه موهمًا إياه أنه يريد ذبحه وهو مستسلم، وعند لحظة معينة صاح ابن سينا بصوت مرتفع: «وه، يالها من بقرة هزيلة، إنه لا يحلُّ ذبحها، أعلفوها أولًا حتى تسمن»، وأمر ابن سينا بفك قيده، وأن يحمل إليه أصنافًا من الطعام، وأن يُدس في طعامه ما أمر به من دواء، وأمروه بأن يأكل كثيرًا؛ لكي يسمن؛ ليذبحوه على ما توهمه، واستمرَّ على ذلك حتى تم له الشفاء.(٢)

وكان ممن اهتموا بالبحث في الأمراض النفسية الطبيب أوحد الزمان البلدي أبو البركات هبة الله ابن ملكا فيلسوف العراقيين (ت ٥٦١هـ/ ١١٦٥م)، وكان قد استخدم في علاجه لحالة الهلاوس ما يُعرف بالعلاج بالإيحاء، وهي طريقة تساعد المريض على التخلص من اعتقاده الخاطئ، ونجح في ذلك إلى حدٍّ أدهش علماء الطب في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وصارت نظرياته في هذا الميدان متداولة بين أطباء العالم في زمانه.

---

(١) محمود الحاج قاسم، الطب عند العرب والمسلمين، ص ٢٣١.

(٢) وهذه القصة أوردها النظامي السمرقندي بتفصيلاتها في جهار مقالة، ص ٨٦.

وكان من نَوَادِر أوحد الزَّمَان فِي المداواة النفسية أَن مَرِيضًا بِبَغْدَاد كَانَ قد عرض لَهُ علّة الماليخوليا، وكان يعتقد أنَّ على رأسه إناءً لا يفارقه أبدًا، فكان إذا مشى يتحايد المواضع ذات السقوف المتدنية، ويمشي برفق، ولا يترك أحدًا يدنو منه حتى لا يقع الذي على رأسه حسب توهمه، وبقي على هذا الوضع مدة وهو في شدة منه، وحاول علاجه جماعة من الأطباء فلم يتعاف، وحينما وصل خبره إلى أوحد الزمان هذا طلب مقابلته، ثمَّ إنَّه أَمر أحد غلمانه أن يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الإناء (الدن) الذي يزعم أنه يحمله، وآمر غلامًا آخر بأن يعلو السطح، ويحمل إناء فيوقعه على الأرض وقت ضرب رأسه، وتمَّت خطته على ما رسمها أوحد الزمان، فلما عاين المريض ما فعل به، ورأى الدن المنكسر تأوه لكسرهم إياه، ولم يشكُّ في الأمر، وأثَّر فيه ذلك فبرئ من علته تلك.(١)

ويعلّق ابن أبي أصيبعة على ذلك بقوله: «وهذا باب عظيم في المداواة، وقد جرى أمثال ذلك لجماعة من الأطباء المتقدمين، مثل: جالينوس وغيره في مداواتهم بالأمور الوهمية».(٢)

وحقيقة تستحق الإشادة هنا بأنَّ هذه الممارسات العلاجية، التي برع فيها أطباء الحضارة الإسلامية في مجال الطب النفسي أصبحت الآن حقائق علمية، يعتمد عليها الطب النفسي الحديث في تشخيص حال المرضى النفسيين، وتلمس مداواتهم.

وختامًا فإنه مع ما تمَّت الإشارة إليه من براعة الأطباء المسلمين في تشخيص

---

(١) وقد أورد ابن أبي أصيبعة هذه القصة بتفاصيلها في عيون الأنباء، ص ٣٧٤- ٣٧٥،

(٢) عيون الأنباء، ص ٣٧٥.

الحالات النفسية، التي تعرض للإنسان، ودراستها، والعمل على علاجها، وممارسة تطبيقاتها، وربط أعراضها بمجموعة حالات نفسية واجتماعية، يمكن أن تعرض للمريض، وكذا اكتشاف تلك العلاقة الوثيقة بين الحالات النفسية التي يمرُّ بها المريض والمرض العضوي أو البدني الذي يعرض له، مع ما أجاد به هؤلاء العلماء من تخصيص مصنفات مستقلة للنفس وأمراضها، أو تضمين مؤلفاتهم وموسوعاتهم الطبية لمجموعة من الفصول المتخصصة في النفس وأحوالها، وما يمكن أن يعرض لها، واقتراح العلاجات والوصفات اللازمة لذلك، فقد كانت هناك مواجهة عملية للأمراض النفسية شهدتها الحضارة الإسلامية، أعني: بذلك جهود المسلمين في إنشاء البيمارستانات أو تخصيص الأجنحة الخاصة ضمن البيمارستانات؛ لإقامة المرضى العقلانيين والعمل على علاجهم.

هذا غيض من فيض من تاريخ التراث الإسلامي النفسي، الذي أبدع فيه أطباء الحضارة الإسلامية، وهم بهذا من مهَّد لظهور هذا العلم بصيغته العلمية قبل ما يقارب الألف سنة من ظهوره في أوروبا، وظهور نظريات الطب النفسي كحقائق علمية اعتمدها الطب النفسي الحديث.

الخاتمـــــة

وبعد، فقد حاولت من خلال هذا البحث أن ألقي بعض الضوء على إسهامات العرب والمسلمين، واكتشافاتهم العلمية في مجال من مجالات العلوم المهمة، وهو علم النفس الذي كان من العلوم التي أبدع العلماء والمفكرين العرب والمسلمين في تدوينها وإثرائها، رغم أنه أدرج ضمن الدراسات الفلسفية والحكمية عصورًا طويلة، ولم يكتسب استقلاله العلمي التخصصي إلا في عصور متأخرة.

ومن خلال ما تمَّ عرضه أمكن لي الوقوف على مجموعة من النتائج التي يمكن أن تمثل ختام هذا البحث، وذلك وفق الآتي:

الأولى- فطن أطباء المسلمين منذ عصور مبكرة إلى أهمية الجانب النفسي في شفاء كثيرٍ من الأمراض العضوية التي تُصيب الإنسان، لإيمانهم التام بتلك العلاقة الوثيقة الرابطة بين سلامة النفس وسلامة الجسد، ولما يشكله تأثير الأحوال النفسية في البدن صحة واعتلالًا، فبادروا إلى البحث عن أهمية معالجة المريض نفسيًا قبل النظر في معاناته الجسدية.

الثانية- أبانت هذه الدراسة بوضوح تلك العلاقة التبادلية بين النفس والجسد، ووقف الأطباء المسلمون على ما يعرف حديثًا بالانفعالات وغيرها من العوامل النفسية التي يمكن أن يتعرَّض لها المريض؛ فتؤثِّر في نفسه، وينعكس ذلك على صحة جسده.

الثالثة- نجح كثيرٌ من الأطباء المسلمين في التوفيق بين فلسفة اليونان والفكر الإسلامي، حول النفس وطبائع الإنسان، وحاجته إلى تزكية نفسه، ومواجهة دوافعها وغرائزها.

الرابعة- تركيز مجموعة من الأطباء واهتمامهم بالجانب الوقائي، وحرصهم على حفظ الصحة قبل الاهتمام بالمداواة والعلاج باعتبار أنَّ الوقاية هي الأساس لبناء

صحة جيدة، وكان مما تنادوا به أنَّ صحة الأبدان تتم المحافظة عليها بتقوية مناعة الجسم، ومن ذلك الجانب النفسي باعتبار أهميته الأساسية في ذلك؛ حيث أشاروا إلى أنَّ النفس تمرض كما يمرض البدن.

الخامسة- وصف علماء النفس المسلمين ما يمكن أن يطلق عليه مصطلح الشخصية الفاضلة، وهي تطابق ما يطلق عليه حديثًا الشخصية السوية التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان، ويتفاوت الناس فيما بينهم في ذلك.

السادسة- تمَّ نقل آثار الأطباء المسلمين في الطب النفسي إلى الغرب؛ حيث تأكد وقوفهم على مجموعات من نظريات المسلمين وكتبهم في هذا التخصص، ووقفوا على كثير من الحقائق العملية، التي سبقتهم في علاج مرضى النفوس عن طريق الإيحاء، وتأثير الإيهام في عزم المريض ورفع معنوياته.

السابعة- مثل هذه الدراسة تجعلنا نشخِّص بعض حالات الوعي الاجتماعي في وقتنا الحاضر، بتعمّد بعض من يصاب نفسيًّا بالجري وراء أوهام وخرافات المشعوذين والدجالين؛ طلبًا لعلاج أحوالهم، مما شجَّع انتشار وبروز المشعوذين والدجالين.

وختامًا: أرجو أن أكون قد وفقت في تناول أبعاد هذا الموضوع وجوانبه، وآمل محاربة الظواهر الاجتماعية الدخيلة على مجتمعاتنا، والتي ليست من عاداته ولا من سلوكه، ولا جاءت ضمن التعاليم التي جاء بها ديننا الحنيف، ونهى عنها وحارب من يعمل بها، بل شجعنا الإسلام على القراءة والعلم والتجربة والمشاهدة والاستنتاج والاستفادة من ذلك في حل كل ما استعصى على الإنسان من أمراض جسدية أو نفسية، وشجعنا على العودة للقرآن الكريم والتدبر في آياته والاستشفاء به؛ لأنه الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والحمد لله فاتحة كل خير وتمام كل نعمة، وصلي اللهم على نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا. بيروت: دار مكتبة الحياة (د. ت).
- ابن جُلجُل، سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧م). طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (٦٨١هـ/١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (١٩٧٢م).
- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا(ت ٣١٣هـ/ ٩٢٥م). الحاوي في الطب. اعتنى به هيثم خليفة طعيمي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م).
- السبكي تاج الدين أبو نصر عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق عبدالفتاح الحلو، ومحمد الطناحي، ط١، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (١٣٨٥هـ/١٩٦٦م).
- السمرقندي، النظامي العروضي توفي في حدود سنة ٥٥٠هـ (١١٥٥م). جهار مقالة: المقالات الأربع في الكتابة والشعر والنجوم والطب، ط١، نقله إلى العربية: عبدالوهاب عزَّام ويحيى الخشَّاب. القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م).

- ابن سينا، أبي علي الحسين بن علي (ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م).
- كتاب الشفاء، القسم الأول. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، (١٩٨٨م).
- القانون في الطب. وضع حواشيه: محمد أمين الضنّاوي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٢٠هـ(١٩٩٩م).
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الوزير (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م). إخبار العُلماء بأخبار الحكماء. القاهرة: مكتبة المتنبي.
- النديم، محمد بن اسحاق (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م). الفهرست. ط١، تحقيق: ناهد عباس عثمان. الدوحة: دار قطري بن الفجاءة، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- ياقوت الحموي، يَاقُوت بن عبدالله الرُومي الحَمَوي (٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م). معجم الأدباء المسمى (إرشاد الأريب على معرفة الأديب) ط٢، القاهرة: دار المأمون، (د.ت).

ثانياً: المراجع العربية والمعرَّبة:

- الأتاسي، محمد إبراهيم. من تاريخ طب النفس والأعصاب عند العرب والمسلمين، ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).
- اسليم، باسمة نعيم. "إسهامات علماء المسلمين في الطب النفسي"(مقال). موقع دنيا الوطن، تاريخ النشر (٢٠١٩/٠١/٢٨م)، ص ٩١-٩٩.

https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/483768.html

- ربيع، محمد شحاتة. التراث النفسي عند علماء المسلمين. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، (١٩٩٣م).

- السباعي، مصطفى. من روائع حضارتنا، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).
- شريف، شريف هزاع. علم النفس في التراث الإسلامي، (مقال)، الدوحة: مجلة الجسرة الثقافية، عدد (١٥) يناير ٢٠٠٣م.
- عثمان، حسن ملا. الأفكار النفسية والتربوية عند ابن سينا. ص (٢٢٥-٢٣٦) في أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد في جامعة حلب بإشراف معهد التراث العلمي العربي وكلية الآداب. ٢٠-٢١ رجب ١٤٠٢هـ/ ١٣-١٤ إيار مايو ١٩٨١م. حلب: المعهد (١٩٨٣م).
- عمر، الفاضل العبيد. الطب الاسلامي عبر القرون. ط١. الرياض: دار الشّواف للطباعة والنشر. ١٤١٠هـ(١٩٨٩م).
- محمد، محمود الحاج قاسم. الطب عند العرب والمسلمين تاريخ ومساهمات، ط١، جدة: الدار السعودية للنشر والتوزيع، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م).
- هونكه، زيغريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ط ٨، تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي.- ط٢.- بيروت: دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م).